284355 ـ حديث لا أصل له في أن المجنون لا يصاب بالزكام .

السؤال

هل يوجد حديث لرسول الله معناه : لو كنت مجنونا لما أعطس ، ولا مسني الزكام مرتين في العام ؟

ملخص الإجابة

هذا كلام ركيك لا أصل له ، يتنزه صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم عن التفوه به .

والعاقل إنما يعرف بسداد رأيه وجودة فكره وحسن منطقه ، والمجنون يعرف بخلطه وفساد رأيه وتدبيره .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

يذكر بعض الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : عجباً لقريش تتهمني بالجنون وأنا أزكم في الشهر مرتين! .

وبعضهم يذكره بلفظ : كيف أجنّ وأن أزكم في العام مرتين ؟! .

وهذا الكلام لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وركاكة لفظه ومعناه تنادي عليه بالفساد والبطلان .

قال ابن القيم رحمه الله : " والأحاديث الموضوعة عليها ظلمة وركاكة ومجازفات باردة تنادي على وضعها واختلاقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

انتهى من"المنار المنيف" (ص 50) .

ثم ذكر جملة من الأمور الكلية التي يعرف بها كون الحديث موضوعا ، ومنها : " ركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها بحيث يمجها السمع ويدفعها الطبع ويسمج معناها للفطن " .

"المنار المنيف" (ص 99)

وإنما يعرف عقل العاقل برزانته ، وجودة رأيه ، وصحة تفكيره وسداد قوله ، ويعرف المجنون بخلطه ووسوسته وسوء رأيه وانحراف تفكيره ، ولا علاقة للجنون بالعطس والزكام .

وإنما يعرف النبي بآياته التي بعث بها ، وبالنظر في نفس رسالته ، وعظمتها ، وما فيها من البرهان الباهر على صدقه على ربه ، وشخصه وخلقه وما هو عليه ، كما فعل هرقل .

وبقياس رسالته برسالة الأنبياء من قبله ، حتى يعلم العاقل الخبير : أن الجميع قد خرج من مشكاة واحدة ، كما فعل النجاشي .

وكيف يبرهن أعقل الناس على سلامة عقله بإصابته بالزكام ، ويترك ذكر الدلائل البينة والحجج القاطعة التي تدل على أنه أعقل الناس قاطبة ؟

قال القاضي عياض رحمه الله:

وَأَمَّا وُفُورُ عَقْلِهِ- صلى الله عليه وسلم- وَذَكَاءُ لُبِّهِ وَقُوَّةُ حَوَاسِّهِ وَفَصَاحَةُ لِسَانِهِ وَاعْتِدَالُ حَرَكَاتِهِ وَحُسْنُ شَمَائِلِهِ: فَلَا مِرْيَةَ أَنَّهُ كَانَ أَعْقَلَ النَّاسِ وَأَذْكَاهُمْ، وَمَنْ تَأَمَّلَ تَدْبِيرَهُ أَمْرَ بَوَاطِنِ الْخَلْقِ وَظَوَاهِرِهِمْ ، وَسِيَاسَةَ العامة والخاصة ، مع عجيب شَمَائِلِهِ ، وَبَدِيعِ سِيَرِهِ ، فَضْلًا عَمَّا أَفَاضَهُ مِنَ الْعِلمِ ، وَقَرَّرَهُ مِنَ الشَّرْعِ ، دُونَ تعلمٍ سَبَقَ ، وَلَا مُمَارَسَةٍ تَقَدَّمَتْ ، وَلَا مُطَالَعَةٍ لِلْكُتُبِ مِنْهُ: لَمْ يَمْتَرِ فِي رُجْحَانِ عَقْلِهِ ، وَثُقُوبِ فَهْمِهِ ، لِأَوَّلِ بَدِيهَةٍ، وَهَذَا مِمَّا لَا يُحْتَاجُ إِلَى تَقْرِيرِهِ ؛ لِتَحَقُّقِهِ .

وَقَدْ قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: قَرَأْتُ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ كِتَابًا ، فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا ، وأَفْضَلُهُمْ رَأْيًا " .

انتهى من"الشفا بتعريف حقوق المصطفى" (1/ 66) .

وروى ابن إسحاق في "السيرة" (ص150) ، ومن طريقه البيهقي في "دلائل النبوة" (2/ 200) عَنِ ابْنِ عباس : " أن الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ اجْتَمَعَ وَنَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَكَانَ ذَا سِنٍّ فِيهِمْ، وَقَدْ حَضَرَ الْمَوَاسِمَ، فَقَالَ :

إِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدَمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ، وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيُكَذِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَرُدُّ قَوْلَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا.

فَقَالُوا: فَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ، فَقُلْ، وَأَقِمْ لَنَا رَأْيًا نَقُومُ بِهِ .

فَقَالَ: بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا أَسْمَعْ .

فَقَالُوا: نَقُولُ كَاهِنٌ .

فَقَالَ: مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، لَقَدْ رَأَيْتُ الْكُهَّانَ ، فَمَا هُوَ بِزَمْزَمَةِ الْكُهَّانِ .

فَقَالُوا نَقُولُ: مَجْنُونٌ .

فَقَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَاهُ، فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ وَلَا تَخَالُجِهِ وَلَا وَسْوَسَتِه .

قَالُوا: فَنَقُولُ شَاعِرٌ .

قَالَ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ قَدْ عَرَفْنَا الشِّعْرَ: بِرَجَزِهِ، وَهَزَجِهِ، وَقَرِيضِهِ، وَمَقْبُوضِهِ، وَمَبْسُوطِهِ فَمَا هُوَ بِالشِّعْرِ.

قَالُوا: فَنَقُولُ سَاحِرٌ، قَالَ: فَمَا هُوَ بِسَاحِرٍ: قَدْ رَأَيْنَا السُّحَارَ وَسِحْرَهُمْ، فَمَا هُوَ بِنَفْثِهِ وَلَا عُقَدِهِ ... ".

والله تعالى أعلم.